الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية
ليسانس السداسي السادس
تخصص: دراسات نقدية
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة11 : الرواية الواقعية

الرواية الواقعية:

شكّلت الرواية الواقعية منذ نشأتها في القرن التاسع عشر، منعطفا حاسما في تاريخ الأدب، إذ انتقلت بالسرد من عوالم الخيال والمثاليات الحالمة إلى أرض الواقع المعيش، حيث الإنسان البسيط وهمومه اليومية وصراعاته المعقدة. لم تعد الرواية مجرد حكاية للتسلية، بل أصبحت أداة لفهم المجتمع وتحليله، ومرآة تعكس تناقضاته وتكشف خباياه.

تقوم الواقعية في جوهرها على تصوير الحياة كما هي، دون تزييف أو مبالغة، مع الحرص على تقديم شخصيات تنتمي إلى مختلف الطبقات الاجتماعية، خاصة الطبقة الوسطى والفقيرة. فالبطل في الرواية الواقعية ليس فارسًا خارقًا أو عاشقًا مثالياً، بل إنسان عادي: موظف، عامل، أو فلاح، يواجه ضغوط الحياة وتحدياتها. ومن خلال هذه الشخصيات، يسعى الكاتب إلى إبراز العلاقة بين الفرد ومحيطه الاجتماعي والاقتصادي.

وقد ظهرت الواقعية كرد فعل مباشر على المدرسة الرومانسية التي بالغت في تمجيد العاطفة والخيال. فجاء كتّاب مثل أونوريه دي بالزاك وغوستاف فلوبير ليؤسسوا لنمط جديد من الكتابة، يعتمد على الدقة في الوصف، والاهتمام بالتفاصيل، وتحليل السلوك الإنساني في سياقه الواقعي. ثم ازدهرت الواقعية مع تشارلز ديكنز في إنجلترا، الذي صوّر معاناة

الفقراء، ومع فيودور دوستويفسكي الذي تعمّق في النفس البشرية وكشف صراعاتها الداخلية.

ومع تطور هذا التيار، ظهرت أشكال متعددة من الواقعية، منها الواقعية الانتقادية التي تفضح عيوب المجتمع، والواقعية الطبيعية التي تأثرت بالعلوم ورأت الإنسان نتاجًا لوراثته وبيئته، ثم الواقعية الاشتراكية التي ارتبطت بالفكر الماركسي ودعت إلى التغيير الاجتماعي. كما برزت الواقعية السحرية التي مزجت بين الواقع والعناصر الخيالية في إطار يبدو طبيعيا ومقبولا.

في الأدب العربي، كان نجيب محفوظ أبرز من جسّد هذا الاتجاه، حيث نقل تفاصيل الحياة اليومية في الحارة المصرية، وصوّر التحولات الاجتماعية والسياسية بدقة وعمق، كما في ثلاثيته الشهيرة. وبذلك أثبتت الواقعية قدرتها على التكيّف مع مختلف البيئات الثقافية، دون أن تفقد جوهرها.

تتميّز الرواية الواقعية بعدة خصائص فنية، أبرزها الموضوعية، حيث يحرص الكاتب على عدم فرض آرائه بشكل مباشر، إضافة إلى تحديد دقيق للزمان والمكان، واستخدام لغة واضحة تتناسب مع طبيعة الشخصيات ومستواها الاجتماعي. كما تعتمد على منطق السببية في الأحداث، وتبتعد عن المصادفات غير المبررة، مما يعزز مصداقيتها ويقربها من القارئ.

إن الرواية الواقعية ليست مجرد نقل للحياة، بل هي فهم عميق لها، وسعي دائم لكشف قوانينها الخفية. إنها أدب الإنسان في واقعه الحقيقي، وصوت الذين لا صوت لهم، ووسيلة لفهم الذات والمجتمع في آن واحد.

أنواع الواقعية في الرواية:

لم تكن الواقعية في الأدب مذهبا جامدا ذا شكل واحد، بل تطورت عبر الزمن إلى تيارات متعددة، اختلفت في رؤيتها للإنسان والمجتمع، لكنها اشتركت جميعًا في هدف أساسي هو فهم الواقع وكشف خباياه. وقد أسهم هذا التنوع في إثراء الرواية وجعلها أكثر قدرة على التعبير عن تعقيدات الحياة الإنسانية.

تعدّ الواقعية الانتقادية أولى تجليات هذا التيار، حيث ظهرت في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، في ظل التحولات الاجتماعية الكبرى التي أحدثتها الثورة الصناعية. وقد سعى روادها إلى تصوير المجتمع كما هو، مع تسليط الضوء على مظاهر الظلم والتفاوت الطبقي. فكانت أعمال أونوريه دي بالزاك وتشارلز ديكنز مثالاً واضحًا على هذا الاتجاه، إذ لم يكتفيا بسرد الحكايات، بل جعلا من الرواية وسيلة لفضح الفقر والاستغلال. وتميّزت هذه الواقعية بالموضوعية، والدقة في الوصف، وبناء شخصيات تنتمي إلى الحياة اليومية، تعكس صراعات الإنسان داخل مجتمعه.

ومع تطور الفكر العلمي، ظهرت الواقعية الطبيعية التي ارتبطت باسم إميل زولا، والتي نظرت إلى الإنسان باعتباره نتاجًا لعوامل الوراثة والبيئة. فقد تأثرت هذه المدرسة بالاكتشافات العلمية، خاصة في مجال الأحياء، فرأت أن سلوك الإنسان يمكن تفسيره وفق قوانين علمية صارمة.

لذلك، اتسمت الرواية الطبيعية بنزعة حتمية، ونظرة تشاؤمية أحيانًا، حيث بدت الشخصيات عاجزة أمام قوى تفوق إرادتها. وقد سعى زولا إلى جعل الرواية أقرب إلى التجربة المخبرية، يدرس من خلالها التفاعلات الإنسانية في ظروف محددة.

وفي القرن العشرين، برزت الواقعية الاشتراكية في سياق سياسي مختلف، خاصة بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا. وقد ارتبطت هذه الواقعية بالفكر الماركسي، وسعت إلى توجيه الأدب نحو خدمة قضايا الطبقة العاملة. فالرواية هنا لم تعد مجرد أداة للوصف أو النقد، بل أصبحت وسيلة للتغيير الاجتماعي، تدعو إلى العدالة والمساواة. وتميزت بتقديم شخصيات إيجابية، تمثل الإنسان المكافح القادر على صنع مستقبله، كما في أعمال مكسيم غوركي.

إلى جانب ذلك، تطورت الواقعية النفسية التي ركزت على العالم الداخلي للإنسان، بدل الاكتفاء بمظاهر الواقع الخارجي. وقد برع في هذا المجال فيودور دوستويفسكي، الذي غاص في أعماق النفس البشرية، كاشفًا صراعاتها المعقدة بين الخير والشر، والإيمان والشك. ففي هذا النوع، تصبح الرواية مجالًا للتحليل النفسي، حيث تُبنى الأحداث على التوترات الداخلية أكثر من الوقائع الخارجية.

أما الواقعية السحرية، فقد مثّلت تحولا مميزا في مسار الواقعية، خاصة في أدب أمريكا اللاتينية. فقد مزجت بين الواقع والعناصر الخيالية، لكنها قدّمت هذا المزج بطريقة طبيعية، تجعل القارئ يتقبّل الخارق كجزء من الحياة اليومية. وتعد أعمال غابرييل غارسيا ماركيز نموذجًا بارزًا لهذا الاتجاه، حيث يتداخل الزمن والأسطورة والواقع في نسيج سردي واحد، يعكس رؤية مختلفة للحقيقة

وهكذا، يتبيّن أن الواقعية ليست مجرد أسلوب أدبي، بل رؤية متعددة الأبعاد، تتغيّر بتغيّر الظروف التاريخية والفكرية. فرغم اختلاف أنواعها، تظل الرواية الواقعية في جوهرها سعيًا لفهم الإنسان في علاقته بالعالم، وكشف القوى التي تشكّل حياته، سواء كانت اجتماعية، أو نفسية، أو حتى خيالية. إنها أدب الحقيقة في أشكالها المتعددة، وصوت الواقع حين يُروى بوعيٍ وإبداع.